الباب الثالث

آيات الجنّة فى ضوء أسلوب التصوير البياني

الفصل الأول

آيات الجنّة فى ضوء أسلوب التصوير بالتشبيه

وفى هذا الباب يهتم الكاتب إتيان الجانب لتطبيق لنظريات البلاغية التى قد سبق ذكرها فى الباب الثاني. قبل ابتدأ عرضه يودّ الكاتب أن يقرر أن هذا الباب الأخير ليس كمجال رحب فى البحث عن تلك النظريات مع أقسامها وأمثلتها بحثا كاملا مفصلا بل انه ينحصر مباحثه على مجرد التّدلّل الوحز الصرع من القرآن الكريم تضمن العناصر التصويرية المختبئة فى الشريفة حيث اصطلح عنها علماء علم البيان بالتشبيهات والمجازات والكنآيات.

وعند بيان النظريات البيانية السالفة أعنى فى الباب الثاني تتّضح أن التشبيه ليس كعنصر محسن يخرج عن المضمون حيث يتجمّل به اللفظ بل أبعد من ذلك انه يختفى وراءه. فيكون نفوزه النفسية يتجلىّ واضحة ملموسة. فضلا إذا أدخل فى رحاب القرآن العظيم.

فى هذه الفكرة تبين على أن التشبيه لم يهدف بـه القـرآن العظيـم الا ليتبع المعنى بل يكون جزأ أساسيا ترتكز عليه دلالة آياته القدميّة. فيهو الطّراز الفريد للتصوير القرآني الذى أعجز بلغاء العرب عبّر التاريخ.

وعلى هذا الاتطلاق يودّ الباحث الإتيان بأمثلة التشبيه آيات الجنّـة على ضوء أسلوب التصوير كما هو المقصود هذه الرّسالة الجامعيّة.

الأولى: سـابقوا الى مغفـرة مـن ربكـم وجنّـة عرضهـا كعـرض السـمآء والأرض لا أعدّت للذين آمنوا با لله ورسله ط ذلك فضـل ا لله يؤتيـه من يشاء ط وا لله ذو الفضل العظيم ﴿الحديد: ٢١﴾.

هذا النمودج من الآية مشهد لعرض الجنّة التى يتمناها كل النـاس مؤمنهم وكافرهم حيث شبّه عرض الجنّـة بعـرض السـماء والأرض علـى التشبيه المرسل المجمل. وهذا لما ذكرت فيه الأدة وحذف منه وجه الشـبه. والطرفان هما مشبه (عرض الجنّة) والمشبه بـه (عـرض السـماء والأرض) من نوع التشبيه معقول بمعقول.

وهذا التشبيه بين الشيئين المعقولين تنتقل الفكرة من الشـيئ نفسـه (المشبه) الى صورة بارعة مخيّلة عجبيّة وهي المساحة الواسعة الشاملة التـى تفسـح المجـال التصـور مشـاهد النّعيـم الحـافل فـى هـذا المجـال الفسـيح الامتناهية: وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض". هذه الصفة العظيمـة فى سلك أسلوب التشبيه تدفع خيال الناس ان يتحـرك ويجعـل فكـره. أن

يدرك طول الجنّة وعرضها كأنها شاخصة حاضرة ملموسة أمام الحسّ. فيشرع خياله وتصوره ان يزداد ويتقوى بعد إمعان النظر الى الآية ما قبلها وقد جاء فيها ذكر متاع الدنيا وقصيره. وهي : إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ..... وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ﴿الحديد: ٢٠﴾.

بعد هذا الذكر عن الدنيّا ومتاعها أتى الله بالذكر عن الجنّة وعرضها فيمنح السّياقان السّابقان للنّاس المجال الواسع للموازنة الشعورية بين ذلك المتاع الضيف الحقير وهذا النّعيم الرحيب الابديّ وبينهما فرقٌ شاسع ويُون هَائِل[1].

الثانية: ويطوف عليهم ولدان مخلدون. واذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴿الإنسان: ١٩﴾.

والمشهد الثاني فى هاتين الآيتين يهمّ صورة غلمان الجنّة كخدام المتقين حيث شبهو باللؤلؤ المنثور. والتشبيه فى تلك الآية من نوع التشبه المرسل المجمل إذا ذكرت فيه الاداة وهي حسب وحذف منه وجه الشبه. اما الطرفان يعنى الولدان المشبه واللؤلؤ المنثور المشبه به فيها من الحسّيات[2].

---

[1] محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد الثالث، ص: ٣٢٨

[2] عبد القادر موسى، القرآن والصور البيانية، ص: ٨٩

إن التشبيه بين الشيئين الحسّين يجعل المرء يستطيع أن يحمل به نفسه ويسوق به فكر الى احوال بعيدة فى عالم الآخرة الى عالمه المادىّ الحاضر فى هذه الدنيا. حيث كأن هذه الأحوال محسوسة مجسّمة شاخصة. "يطوف عليهم ولدان مخلدون. واذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. وذكر اللؤلؤ يصوّر الدّر المحفوظ بعيدا عن الأتربه والعبار والرياح حتى يكون اشد المعانا واكثر صفاء وهو فى احسن الصفة والمنظر اذا كان منثورا او متفرقا على البساط أكثر من اللؤلؤ المنظوم*. وهذا كما قال الرّازي لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون اروع وأبدع[٤].

وهذا المذكور كلّه صفة ممتازة لهؤلاء غلمان الجنّة المنتشرين فيها لخدمة أهلها فهم فى صفاء الالوان وإشراف الوجوه. وهم باقون على ماهم عليه فى الشباب والنضارة والحسن لا يهرمون ولايتغيرون ويكون على سنّ واحدة على مرّ الأزمنة. وهذه الجموع الغلمان وهم فى غاية الحسن والجمال والطّراوة والبهاء يدورون دائما على هؤلاء الأبرار يستعدون لخدمتهم فىما يحتاجون وأينما كانوا "يطوف عليهم ولدان مخلدون".

---

[٣] عبدالقدر موسى، القرآن والصور البيانية، ص:٢٩٠

[٤] محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ص:٤٩٥

الثالثة: وعندهم قاصرات الطّرف عين. كأنهنّ بيض مكنون ﴿الصفات: ٤٩﴾.

أما المشهد الثالث فمشهد نساء الجنّة وفى هذه الآية تشبههنّ ببيض مكنون. والمقارنة على سبيل التشبيه المرسل المجمل حيث ذكرت فيه الأدة وحذف منه وجه الشبه. والمشبه (الضمير المتصل"هنّ" فى الكلمة كأنهنّ . رجع الى قاصرات الطرف عين) من نوع الحسّي. والمشبه به (بيض) كذلك من الحسّيات[٥].

وهذا التشبيه يحوّل شيئا معنويّا لايدرك الى صورة حسّية ملموسة فتيقّظ النّفس للإحساس به إحساسا قويّا. وعندهم قاصرات الطرف عين. كأنهنّ بيض مكنون.

إن نساء الجنّة ما يظنّون وهنّ فى بياض يشوبه قليل من لكدورة كالبيض المستور فى الأعشاش الذى لم تمسّه الأيدى ويعلّه الغبار. وهذا اللون الفريد مما يهم به جميع الرجال واخصّهم العرب (المشهورون بجداقهم فى نعت النساء واختيارهنّ) حيث شبّهوا النساء فى نهاية البياض كبيضات الحدور مثل ما قال عنه امرؤ القيس:

وبيض خدر لايرام خباؤها # تمتعت من لهوسها غير معجل[٦]

---

[٥] عبد القادر موسى، القرآن والصور البيانية، ص: ٨٩

[٦] الدكتور مصطفى أحمد المراغي، تفسير المراغي، المجلد الثامن، الجزء ٢٣ ص: ٥٨

وإن كان ذلك من شأن هذه النساء فمن الطبيعي إن تدع الآية أن يتحيّلوا لتمليكها والإستمتاع بها لأنّها معنى أوضح وآكد للخيال.

الرابعة: وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ﴿الواقعة: ٢٢-٢٤﴾.

ثم يأتى دور المشهد الرابع الشبيه بالمشهد الثالث أعنى نساء الجنّة ولكن ثمة الفرق القليل من حيث الصفة. وفى رحاب هذه الآية شبّه وجودهنّ باللؤلؤ المكنون على وجه التشبيه المرسل المجمل لما ذكرت فيه الأداة وحذف منه وجه الشبه. والطرفان حور عين (المشبه) والمكنون (المشبه به) هما حسيان [٧].

إن المقارنة بين الشيئين الحسّيين وتقريب بعضها بالبعض يدنى مايعلم بالحسّى الى ما هو اكثر منه وضوحا خاصّة انه من امور الأخرة :" وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون". إن نساء الجنّة كجزاء للمؤمنين فى بياضهنّ وحسنهنّ شبهنّ باللؤلؤ المصان فى اصدافه فلم تمسّه الأيدى. و لم تقع عليه الشمس و لم يصبه الغبار لصفاءه ورونقه. وبنصيب كامل من تلك الصيانة والصّفاء والجمال يزداد الإنسان بأسره فى الحرص عليهنّ

---

[٧] عبد القادر موسى، القرآن والصور البيانية، ص:

فى تجددّ وثوق دائم[٨]. وعند هذه النظـرة المعجيـة الباعثـة للخيـال يسـمع القرار الشامل "جزاء بما كانوا يعملون."

الخامسة: ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كـانت قواريـرا. قواريـر من فضة قدروها تقديرا ﴿الإنسان: ١٥-١٦﴾.

ثم ينتقل الى المشهد الخامس هو استعراض بعض أدوات الجنّة مثل الأكـواب والأوانـي. والمعنـى الحقيقـي للآيـة أن تلـك الأدوات ليسـت مسنوعة منها بل إنما تشبيه الفضّة فى بياضها[٩]. والمقارنة من نوع التشـبيه البلغ إذ لم تذكرت فيه الأداة بجـانب حـذف فيـه وجـه الشـبه. وكـل مـن المشبه وهي القوارير والمشبه به يعنى الفئـة من الحسّيات.

وجعل المشبه عين المشبه به مـن دون إلتفـات للمبالغـة والتـأكيد. محذف الأداة يبيّن التطابق بين الطرفين (القوارير والفضّة) وحذف الوجـه يبين عن الشمول فى الصفـات فيهـا[١٠]. ويطـاف عليهـم بآنيـة مـن فضـة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضّة قدّروها تقديرا. وفى حلال هـذه الآيـة صـورة تلمـح علـى الاحـاس والوجـدان وتجتـذب احسـاس اليهـا الإلتفات وتريد إرسال الخيال أن تـدور عليهـم الخـدّام المطيعـين بـالأواني الفضية والكواب الزجا جية، الجا معة بين بياض فضـةونصوعها وشـفيف

---

[٨] نفس المراجع، ص:٤٠

[٩] نفس المراجع، ص:٦٧

[١٠] نفس المرجع، ص:٦٧

القوارير وصفائها فيها الطعام والشراب على عادة الترف والنعيم فى الدنيا من الملوك والاغنياء فىتناول كل واحد فيهم حاجته.

وفى مثل هذه اللحظة يستغرق فيها الحسّ حيث يتخيل الإنسان الحياة فى نهاية الترف والرفاهيّة يمكن أن تهتزّ وتخرّك نفسه للحصول عليها.

السادسة: إن الابرار لفى نعيم. على الأرائك ينظرون. تعرف من وجوههم نضرة النّعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

﴿المطففىن: ٢٢-٢٦﴾.

فالمشهد السادس غير بعيد عن المشهد ما قبله أعنى أن الآية تنعت حالة المأكولات والمشروبات لمعدّة فى الجنّة. ومادة التخليل فى قطعة الآية "ختامه مسك". والمقصود هنا أن ختام الشرب ليس مسك مصفّى بل انما هو شابه بالمسك فى الرائحة[١١]. والمقارنة من نوع التشبيه البليغ إذ لم تذكر فيه الأداة بجانب حذف فيه وجه الشبه فالمشبه وهو الختام من المعقولات والمشبه به يعنى المسك من الحسّيات.[١٢]

---

[١١] جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى، تفسير الجلالين، الجزء الثانى، ص: ٤٩٤.

[١٢] عبد القادر موسى، القرآن والصور البيانية، ص: ٦٧

إن المقارن بين الطرفين المنتزعين من عالم الاحياء تمنح الآية تصويرا حيّا مجسّما لألوان مجرّدة اشيالؤ جامدة عقيمة. وعند ذكر الآية : "يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك" تبرز فى خيال القارئ صورة تتجدّد عن كون اهل الجنّة يشربون فيها من خمر طيّبة لذيذة ويجدون حين شربها نهاية نعمة وهي صافية دائمة لم تكذّرها الأيدى. وقد ختم على تلك الأوانى فلا يفّك ختمها إلاّ هؤلاء الابرار. ولاتوجد تلك الرائحة الكريهة التى يجدها شارب الخمر فى الدنيا بل هذه المشروبة الممتازة لازالت وتزال تفوح منه رائحة المسك.

ثم فالننظر بعد ذلك الى تعبير لاحق عميل كهذا التعبير "وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" فالكلمة التنافس على حد قول الطّبرى[١٣] مأخوذ من الشيئ النفس الذى يحرص عليه النّاس وتشتهيه وتطلبه نفوسهم. هذا التعبير يرسم صورة معقولة تنفذ مشاعر النفس وتستحش الحسّ وتستنهض الخيال للمبادرة الى طاعة الله والتسابق فى طلب هذا الشرب الهنيئ الامثيل له وهذا النعيم الابدىّ.

---

[١٣] محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ص: ٥٢٤

الفصل الثانى
آيات الجنّة فى ضوء أسلوب التصوير بالمجاز

وفى الفصل السابق بيّن الباحث عن التشبيه لمحة يسيرة من أنه لم يهدف به القرآن إلاّ كطريقة أو وسيلة من وسائل التصوير تحتوى على دلالات نفسيّة وفنّية معاً لإظهار فكرة خاصّة أو رسم معنى معيّن. فالأمر لايبعد بكثير عن قضيّة المجاز الذى نحن الان بصدده سواء كان لغويّا او عقليّا.

إن المجاز طريقة للتعبير والتصوير وهو من أحسن الوسائل البيانيّة التى تهدى اليها الطّبيعة لإيضاح المعنى إذ به يخرج المعنى متصّفا بصفة حسّية. تكاد تعرضه على عيان السّامع. لما فيه الاتّساع فى الكلام وادلالة على كثرة معاني الألفاظ. ودّقة فى التعبير، فيحصل للنّفس به سرور وأريحية[١٤].

وهذا كلّه مواقف بمعجزة من معجزات القرآن حيث انه كأسلوب مصوّر ومبادئ لعلوم البلاغة. وبإيجاز ألفاظه يمنح المجاز التركيب عناصر التخييل والتجسيم حتى لكأنّه يتحرّك وينهض يستلذّ به

---

[١٤] سيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: ٢٩

أصحاب النّفوس الرقيقة المرهفة ويعبّرون عنه وزينونى به خطبهم وأشعارهم.

وعلى هذا الأساس أولع الباحث للإتيان ببعض الأمثلة فى آيات الجنّة التى تثبت ذلك القول مع الإلتجاء إلى النّظريّة فى المجاز كما أنها مذكورة فى الباب الثاني.

الأول: وأما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون. ﴿ال عمران: ١٠٧﴾

وفى هذه اللحظة تتناول الآية مشهدا مؤنسا يصور فيه جزأ المؤمنين. والآية من نوع المجاز المرسل حيث استعملت الكلمة رحمة فى غير معناها الاصلىإذ كلمة الرّحمة لايحلّ فيها المؤمنون لأنها معنى من معانى المجرّدة دون الحسّيّة. وانما يحلّون فى مكانها فاستعمال كلمة "الرحمة" مجاز أطلق فيه الحال بينما يراد منه المحلّ فعلاقته الحالية. أما قرينته فحالية لأن ايراد الجنّة للرحمة يفهم من الواقع[١٥].

تلك الظّاهرة المجازيّة تمنح تصويرا عجبا. وكلمة "الرحمة" توحى اللّين والحبّ والعطف والإشفاق. وكله يبثّ الإطمئنان وضبط النفس وقوتها بعيدا من الإنكسار وضعف النفس وأليمها. وهذه والمنعوت الخيّرة تحيط نفوس المؤمنين ويسعرون بها. وعندما أريدت كلمة "الرّحمة"

---

[١٥] نفس لمراجع، ص: ٢٩٥

بالجنّة. التى عرضها السموات والأرض وهي مليئة بأنواع نعم مادية زادت الآية للنّفس تصويرا بتصوير وتأثيرا بتأثير.

الثانية: إن الأبرار لفى نعيم. وإن الفجار لفى جحيم .

﴿الإنفطار:١٣-١٤﴾.

إن سياق هذه الآية يعرض مشهدا من مشاهد الجزاء. ومن خلاله نستطيع أن نحلّل بأن فيه نوعا من المجاز المرسل إذ استخدمت كلمة "نعيم" فى غير معناها الحقيقى. إن الابرار لايقدرون على المكث فى "نعيم" جسديّا لأنه غير حسّيّ، بل يحولّون فى المكان الحسّيّ المناسب. فاستخدام كلمة "نعيم" مجاز أطلق فيه الحال ويرد منه المحل فعلاقته إذن حالية. وقرينته حالية اذ لإتيان بمعنى الجنّة قابل للذهن لما بين الحال والمحل من الملازمة.

فلنتّخذ هذه الآية لتابع ايحاإتها إن للفظ "نعيم" يضمن المعنى رغد العيش، أصلها من: نعم ينعم نعمة ومنعما بمعنى رفه، والجملة نعم عيشه بمعنى طاب ولان واتسع عيشه. بنأ على هذا، فلون من ألوان التخييل يتمثل فى تلك الصّورة "النعيم" حيث فيها التأثير والحركة التى يعبّر بها عن حالة من حالاتها أو معنى من معانيها. فهذه الكلمة تلمس صورة

الحياة اللّينة الطيّبة وصاحبها فى بهجة دائمة وسرور لايوصف يتنعّمون وسائل العيش بأكملها بعيد عن كلّ أعمال مضنية والنّقائص.

وليس هذا اللفظ يستقلّ بنفسه بل يعقبه اللفظ المقابل عقبا لطيفا فيكون فنّا من التّناسق الرّفيع : إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم. فلما تدبّر السامع معنا من معانيه لفظ "جحيم" ترتسم فى ذهنه صورة زحزحة العذاب، المعروفة كاملة متحرّكة من وراء هذه اللفظة المفردة.

وعند التأمّل السّريع فى هاتين اللفظتين يتبيّن وجه التناسق فى "النعيم والجحيم" وقد تبتعدان فى المعنى بعد المشرق والمغرب وأن بينهما نقلة بعيدة ولكن عندما سيقا فى التركيب الموحّد فإذا طلعت منهما الصورة العجيبة. وهي مفاجأة بلا تدرّج، وتغفل المسافات البعيدة التى تغرق بين رغدة العيش وزحزحة العذاب فتلمسّ الوجدان.

الثالثة : إن المتقين فى مقام أمين. فى جنات وعيون. يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوجناهم بحور عين. يدعون فيها بكل فاكهة أمنين. لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى. ووقيهم عذاب الجحيم. فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم.

﴿الدخان: ٥١-٥٧﴾

هذه الآية تبسط المشهد الآخر لصفة الجنّة وفيها المجاز المرسل وهو يتبيّن فى الكلمة "مقام أمين" المستعملة قصدا فى غير معناها الأصلى وهي الجنّة لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دآلّة على عدم إرادة المعنى الوضعى لأن إتيان المعنى الأصلى تعنى الجنّة، ل"مقام أمين" المذكور أمر مفيهوم عقليّا.

إن ذكر مقام أمين "للجنّة الإيحاء. واللفظة "أمين" صفة من أمن يأمن وأمنا وأمانا وأمنة بمعنى اطمأنّ. والأمان معنان العهد والحماية، والذّمّة والأمنة هو الاطمئنان ويكون القلب سكون[١٦]. ومن ثم أن الجنّة التى هي كجزاء المتقين كمقام الإطمئنان ويكون القلب لأن الأحوال كلها فيها فى الحماية والذذّمّة. هؤلاء المتقون منعمون راحلون فى انواع الحرير الرّقيق السّميك. متقابلون فى مجالسهم وهو أصحاب الدار. وزاد التأكيد على هذه الحياة المثالية فى الآية ما بعدها. فى جنّات وعيون. يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوجناهم بحور عين. يدعون فيها بكل فاكهة أمنين. لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى". إن قلوبهم فى اطمئنان بعد اطمئنان إذ أنهم فى ظمان الحقّ الرحيم الذى هو مالك الملك، بالحلوص من عذاب جهنّم الشديد الأليم "ووقاهم عذاب الجحيم".

---

[١٦] لويس مألوف،المنجدفي اللغةو الأعلام، ص، ١٥

الرابعة : مثل الجنّة التى وعد المتقون. تجرى من تحتها الأنهار ﴿الرعد: ٣٥﴾.

فالآية الانفة الذّكر تعبير عن صورة الأنهار فى الجنّة وهى من نوع المجاز العقلى. واللفظ "الأنهار" يكون مشبها ثم حذف المشبه به المقدّر با"الإنسان" ورمز له اللفظ تجر كشيئ من لوازمه[١٧].

إن الإمتزاج بين طرفى الاستعارة، يعنى امتزاج الأنهار فى الإنسان، يخلع القرآن على نهر الجنّة الإمتيازات الإنسانية الانهاركالقوة والإرادة وما الى ذلك وهى تريد المسابقة مع بعضها لأجل رضا ناظريها.

فالمحصول من وراء هذا لسياق هو معنى الشمول فينشئ للمرء صورةبعدصورة تستمثل الموقف تمثلا واضحا يحرّك خيال المرء. وذلك أنه قد افاد أن الأنهار قد صارت جريانا كلها. وأن الماء قد كان يتفجّر من كل عيونها كلها وينبجس شديدا مونسا كأن كلا منها فى استعداد دائم للمسابقة فى الجرى لتمنح الرضا والأريحيّة لأهل الجنّة. ولو أجرى للفظ على طاهره فقيل: "يجرى ماء الأنهار" أو "يجرى الماء فى الأنهار" لم يفد ذلك و لم يدل عليه. ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار فى الأنهار هكذا لايوجد فيه اللّمس والتأثير على الوجدان.

---

[١٧] سيد احمد الهاشمي، الجواهر، ص: ٢٩٦

الخامسة: وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. فى جنّة عالية. لاتسمع فيها لاغيه. فيها عين جارية. فيها سرر مرفوعة. واكواب موضوعة. ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة

﴿الغاشية: ٨-١٦﴾.

وقد عبرت هذه الآية عن الحالية الهنيئة المريحية لنفوس مؤمنة عند لقاء ربها الجليل وعند قبولها على الجزاء الموعود. وهى فى ميزان علم البيان تحتبئ من حلالها نوعا من المجاز المرسل حيث استخد اللفظ "وجوه" فى غير معناها الحقيقى[١٨]. والوجوه لاتنعم بل النفوس. فاستعمال "وجوه" مجاز أطلق فيه الجزء ويراد منه الكلّ فعلاقته إذن الجزئيّة، وقرينته حالية لأن إيراد الوجوه للنفوس استطاع فهمه من الواقع العقلانيّ.

وذكر وجوه ناعمة يمنح صورة مخيّلة بأنها فى دائم التبسّم. ولكن وما الواجه الا كمرتبة الجزء القليل وثمة شيئ اكبر منه يعنى النفس وهى فى الحقيقة تستلذّ البهجة والحسن والإشراق والإطمئنان فوق ما يظهر فى الوجه. هيئة الوجه وأحواله تكون بنفوذها النفسية. من أجل هذا، يقول سبحانه يوم الحشر: يآأيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية.

---

[١٨] الصابوني،صفوة التفاسير، ص: ٥٥٤

وتستجيش أريحية القارئ واكتملت حين استمر قراءتـه الى آيـات بعدها وفصّلت فيها مظاهر مآدية زاخرة تنعم بها النفوس المؤمنة فى الجنّة جزاء لمساعيها المرضيّة: " لاتسمع فيها لاغيه. فيها عين جارية. فيها سرر مرفوعة. واكواب موضوعة. ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة".

تلك من صور النعيم، وفى أثناء استعرضها نسي المرء أن هذا كله آت فى المستقبل البعيد بل وحتى يحسّ انه واقع فى الحاضر المشهود. هذا لأثر الإعجاز فى العرض والتشخيص حيث يعتمد على الألفاظ وحدها.

السادسة: يـوم تـرى المؤمنـين والمؤمنـات يسـعى نورهـم بـين أيديهـم وبأيمانهم. ﴿الحديد: ١٢﴾

لقد رسمت هذه الآية الصورة المجسّمة عن هيئة المؤمنين والمؤمنـات فى جنّات النعيم. ولبّ التحليل فى هذه الآية يكـون فـى التعبـير "يسـعى نورهم" وهو من استعارة المكنيـة وأصـل هـذا التعبـير نورهـم كالإنسـان حيث حذف منه المشبه به الإنسان وثبت فيه المشبه "نورهم" هم رمـز لـه بشيئ من لوازمه، كالقرينة، وهو يسعى.

والتصوير فى الآية إذن يبرز عند استعما ل اللفظ "يسعى نورهـم" وهو أبلغ من "يضيئ نورهم" لأن التعبير الأوّل يدل على دلالة مخيّلة تحرّك الوجدان. فينشئ للقارئ المتدبّر أن صورة نورهم كالإنسان المدلّل المطيـع

يتحرك ويهدى سبيل سادتهم أينما كانوا، بينما كان التعبير الثانى عقيم عن هذا العامل الفنّى المؤثر.

الفصل الثالث

آيات الجنّة فى ضوء أسلوب التصوير بالكناية

واللّون الأخر من ألوان التعبير الفكرىّ والنفسىّ المعجز هو التصوير بالكناية التى استخدمها العرب قديما فى اساليبهم الكلاميّة للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم المختلفة. ولكن الكناية حينما تكون فى رحاب القرآن ارتسمت موقفا او تجسّمت معنى من المعانى على نمط تصويرىّ حيث يسمو بها سمّوا روحانيا ولا سبيل للإنسان أن يدركه. والسبب، لأنه قبل أن يصوّر معنى او أفكرة فإن منزله. هو يصوّر انسانية بأكملها واطّلع على ما تخبئه من أسرار.

والتعبير بالكناية، فى إطار علم البيان. يضع امامنا الإحساس الواضح المحدّد ويتركنا نستنتج الفكرة بأنفسنا. ولذلك تأتى قوتها من ثلاثةوجوه : الأولى، تمثيل المعنى للحواس والوجدان. والثانية، تنشيط الذهن للبحث عن المعنى المستتر وراء الصورة. وتضاف الى هاتين الجهتين.والثالثة ،هى طرافة التعبير حيث يستطيع أن يطرق الأسماع لأوّل مرّة، فيستدّد إنتباه السّامع له ويعمق أثره فى الذّهن.

وقد حفل القرآن بضروب كثيرة من الكناية ولويقلّ فىآيات الجنّة. ويودّالبا حث هناإتيان مثلين منهما على حسب معرفته المخدودة عنها فى القرآن مع الإستناد الى النّظرية البيانيّة، وهما كالآتى:

الأول: وعندهم قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجان.

﴿الرحمن: ٥٦﴾

هذه الآية من أنواع أسلوب الكنانة عن موصوف أو عن ذات يتجمّل هذه الصّفة الطيّبة. والتعبيران "قاصرات الطرف" دلالة على الحياء، و"لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجآن" يوحى صفة العفّة المحمودة. فالحياء خلّة نفسيّة تكسو مشاعر المرأة أو الفتاة ولكن أثار اليه القرآن من طرف خفيّ لما أن الحياء يحول بين الحوريات والنّظر الى غير أزواجهنّ. وتكتمل صورة الحياء فى عجز الآية: لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان" كإشارة قوية الى العفّة التى هي أبرز صفة الفتاة التى لم تتزوّج.

وبهذين التعبيرين العقلانيّين فالمرء بقدرته يستطيع أن يبعث ذهنه للخيال. ويسمى عاطفته للاحساس بتعارفيهنّ والعيش بجنبهنّ.

الثانية: وعندهم قاصرات الطرف عين. كأنهنّ بيض مكنون.

﴿الصفات: ٤٨-٤٩﴾

هذه الآية تحتوى على العاملين معا فى علم البيان، التشبيه والكناية. والباحث يريد أن يحلّل من جانب العامل الاخير يعنى الكناية.

فاللفظ بيض مكنون من نوع الاسلوب الكنائى فى الموصوف، أو بعبارة أخرى انها تكنى بهذا اللفظ عن ذات لازمة وهو الصفاء والنّعومة[١٩].

إن الكناية بلفظ "بيض مكنون" تمثّل المعنى للخيال حيث يترك الوجدان والذهن ينتجان الفكرة والشعور ولهما درجات حسب قواة إدراكهما. هذا اللفظ المتميّز يأنس الوجدان ويثير الأفكار للتأمّل والنفوس للخيال عن جمال نساء الجنّة وصفائهنّ ونعومتهنّ الى ما سيكون.

---

[١٩] عبد القادر موسى، المرجع السابق، ص: ١٧٨